تصوير الأطفال في الطقوس الدينية العامة في العصر الروماني

أ.رهام حافظ محمد جمال الدين
باحثة دكتوراة كلية الآداب– جامعة المنيا – مصر
rehammagh@gmail.com

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على دور الطفل الروماني داخل الطقوس الدينية، وذلك بمعرفة بداية تعليمهم الديني، وماهي الاحتفالات الدينية التي شاركوا فيها، وما دورهم داخل هذه الطقوس، وما مدى أهميتهم فيها، وما شروط اختيارهم، وكل ما يخص شكل وجودهم داخل مناظر الطقوس الدينية الرومانية.

الكلمات الدالة:

الديانة الرومانية– الطفل الروماني – الطقوس الدينية – الاحتفالات – الكهنة.

Depiction of Children in Public Religious Rituals in the Roman Era.

Abstract:

The research aims to shed light on the role of the Roman child within religious rituals ،by knowing the beginning of their religious education ، what religious celebrations they participated in ،what their role was within these rituals ،how important they were in them ،what were the conditions for their selection ،and everything related to the form of their presence within the scenes of Roman religious rituals.

Keywords:

Celebrations- priests- Roman child- Rituals- Roman religion.

المقدمة

بدأ التعليم الديني للطفل في الحضارة الرومانية عن طريق الاستماع إلى قصص الآلهة والأبطال، التي كانت تُروى لهم أولاً من قبل نساء المنزل وأجدادهم، وعند إتمام سن السابعة ودخول الطفل المرحلة الأولى من التعليم، كان يُكمل تعليمه معلم المدرسة، وبذلك يكتسب المعرفة الأسطورية جيدًا. أما التطبيق العملي فكانت مسؤولية الأب، وذلك بمصاحبة الطفل إلى الكابيتول ومعابد الآلهة الموجودة بالمدينة، فأصبحت القصص التي سمعوها، يعيشونها في صلوات الذبائح، وفي الدعاء للآلهة، ومن خلال أداء طقوس القرابين وفي الاحتفالات الدينية. وقد تركزت ممارسات العبادة للطفل بأداء الطقوس في شقين: الشق الأول طقوس يكون فيها الطفل (هدفًا لها أو من المحتفى بهم فيها) مثل طقوس الولادة وطقوس عيد المترونالياليا[1] أما الشق الثاني (يمكن أن يكون الطفل فيه فاعلًا لها ومُشتركًا فيها اثناء تآدية الطقوس). كان الرجال عمومًا هم المُكلفين بأداء الطقوس الدينية العامة للدولة، ولكن في بعض الطقوس الدينية والاحتفالات الاجتماعية كان يتم الاستعانة بالنساء والأطفال للحفاظ على قوة المجتمع. ومن المناسبات التي كان يُشارك فيها الأطفال بشكل أساسي مناسبتان هما: (Lusus Troiae) و (Textura Rica)، الأولى هي عرض طقسي يشارك فيه أولاد النبلاء الذكور على ظهور الخيل، أمام جمهور من البالغين، تمثل هذه الطقوس بدء حمل السلاح والفروسية للشباب الرومان. أما العيد الأخير يُمثل الجانب الأنثوي، الذي يتمثل في نسج ثوب يطلق عليه Rica (الريكا) وهو الثوب الذي ترتديه كاهنة لقبهاFlaminica فلامينيكا وهي زوجة كاهن لقبه Flamen فلامين ديياليس.[2] وهكذا

تتدرب الفتيات على نشاط يميز المرأة الرومانية المثالية التي يرمز لها بالفلامينيكا [3].
وكان الهدف من هذه الطقوس هو تعريف الفتيان والفتيات بالمفاهيم الأساسية لحياتهم المستقبلية. فالاحتفال الأول يتعرف الأولاد من خلاله على دورهم العسكري تجاه الدولة، الذين سيكونون في يوم من الأيام مسؤولين عنها وعن حمايتها.
أما الاحتفال الثاني فتتعلم فيه الفتيات أهمية هذا النشاط المرتبط بوضعهن كرئيسات مستقبليات، التي ترتكز عليه الأسرة الرومانية المثالية [4].

دور الأطفال في الاحتفالات الدينية الرومانية وشروط اختيارهم

كان اشتراك الأطفال في الاحتفالات والمناسبات الدينية في إيطاليا يتم في شكلين:
الشكل الأول: شكل جماعي سواء عن طريق أطفال ذكور يطلق علي الواحد منهم في اللغة اللاتينية Camillus-i بمعني الطفل الذي يساعد الكاهن في الطقوس الدينية .
أو أطفال إناث تطلق علي الواحدة منهن Camilia –ae بمعني الطفلة التي تساعد في الطقوس الدينية . [5]
حيث كان هؤلاء الاطفال يقومون بغناء الترانيم والأدعية الدينية أو المساعدة في أداء الطقوس الدينية أو الاجتماعية. ومن أهم المشاركات الجماعية للأطفال ما يلي:

1. الغناء في الأعياد الدينية العامة:

كانت الدولة تقوم بتجميع الأطفال في عدة مناسبات دينية في شكل جوقة، يقومون بالدعاء فيها أوغناء بعض الترانيم. وقد كان الغناء في الأعياد العامة والألعاب الأوليمبية من أهم المناسبات، مثال على ذلك الألعاب الأوليمبية علي شرف الامبراطور أوغسطس(27 ق.م–14م) في عام 17 ق.م، التي غنى فيها 27 فتى و27 فتاة عدة ترانيم من تأليف الشاعر هوراس [6] في الكابيتول. كما استعان الإمبراطور كاليجولا (37–41) كذلك بمجموعة من الفتيان والفتيات للغناء في تكريس ضريح لأوغسطس عام 37م.
كما اشترك الأطفال كذلك في الغناء في ولائم بعض الأعياد، وكذلك لإحياء ذكرى مآثر أسلاف العائلة. كما شارك الأطفال أيضًا في إحياء بعض المواكب في بعض المناسبات الدينية علي شكل مجموعات، مثال على ذلك موكب خلال عصر الامبرطور دومتيانوس(81–96) خلال احتفالات Ludi Saeculares عام 88 م، حيث قاد الفتيان والفتيات الصغار الموكب وهم يحملون أغصانًا مرفوعة. وقد كان لهذه الأغاني دورًا مهم في مساعدة الأطفال على حفظ تقاليد الأسرة والدولة وتاريخها [7].

ولدينا مثال لعملة من عصر دومتيانوس تُصور احتفالات الإله أبولو التي كانت تُقام على تل البلاتين، في الثالث من شهر يونيو شكل(1)، كان أحد العناصر المهمة في الاحتفال هو تشكيل جوقة من الأطفال مكونة من 27 فتًى و27 فتاة، كانوا يقومون بالغناء أثناء سيرهم من تل البلاتين إلى الكابيتول أغنية لهوارس، وكان الأطفال يحملون أثناء سيرهم أغصان الغار. والعملة تظهر من خلالها ثلاثة من الأطفال المغنّين وقد خرجوا من الجوقة، كما تُظهر العملة كذلك رجلين أحدهما هو دوميتيانوس، الذي ربما كان يحمل Sistrum وهي آلة موسيقية تُسمى الصلالة أو الشخشيخة [8].

منظر رقم (1):عملة من عصر دومتيانوس أثناء احتفالات الثالث من يونيو
Kubiaczyk، M.A. (2016)، p245

ولدينا مثال آخر على ذلك؛ لوحة من الفسيفساء من معبد ديانا الذي بني عليه دير Sant'Angelo القديس أنجلو في القرن الحادي عشر، على منحدر Monte Tifata، بالقرب من كابوا بإيطاليا، تعود إلى القرن الثالث الميلادي، يتم عرض الفسيفساء في متحف مقاطعة كامبانو بمدينة كابوا جنوب إيطاليا – تصور اللوحة جوقة مقدسة لفتيات وفتيان يقومون بالغناء، (شكل2) [9].

منظر رقم (2): فسيفساء القرن الثالث الميلادي تصور جوقة مقدسة للأطفال
Mackey،(2017).J.L، 190

2. الغناء في أوقات الأزمات التي كانت تمر بها الدولة:

في أوقات الأزمات التي كانت تمر بها الدولة سواء (حروب أو أمراض أو جفاف)، كانت تستعين الدولة بمجموعة من الأطفال في شكل جوقة، ليقوموا بالصلاة إلى الآلهة وغناء ترانيم لجوبيتر. وأوضح هذه الفترات كانت خلال الحروب البونية الأولى بين روما وقرطاجة عام 220ق.م، وخلال المرحلة الثانية للحرب نفسها عام 207ق.م. وعند ظهور علامات الشؤم ، يتم إعداد 27 فتاة – يتكرر هذا العدد لأنه العدد المحظوظ لدى الرومان– بواسطة الكاهن الأعظم، كي يحفظن الترانيم الدينية التي كتبها ليفوس اندرونيكوس [10]، ويحملن تمثالي المعبودتين جونو[11] وديانا[12] المصنوعين من شجر السرو؛ لترضى الآلهة وترفع البلاء عن البلاد.

أما الإشارة الوحيدة بعد ذلك أتت بعد فترة طويلة تقترب من خمسة قرون. عندما تعرضت روما لخطر

قبائل الماكروماني عام 271م، قام الرومان بعمل العديد من الطقوس منها طقوس تطهير البلاد من أجل تخليصها من الآثام، وأيضًا اشتركت مجموعة من الأطفال في غناء ترانيم توسل للآلهة [13].

3. المشاركة في المواكب الاحتفالية الدينية والاجتماعية :

كان الاطفال يشتركون كذلك في بعض الطقوس الاجتماعية مثل الزواج، حيث يصطحب ثلاثة أولاد من الكاميلي العروس من منزل الأب لمنزل زوجها، يحمل أحدهم المشاعل، والآخران يقودان العروس. وهناك بعض المناظر كذلك تمت الإشارة إليها من قبل؛ صورت فتيات (كاميلاي) بجانب العروس يحملن صناديق الكامليوم التي كانت تحتوي على أغراضها. أيضًا شاركوا في مواكب احتفالات النصر، وتتويج الإمبراطور.

– **الشكل الثاني:** مشاركة الأطفال في الطقوس الدينية **بشكل فردي**، (صبي Camillus) أو (فتاة Camilla) [14] ومن أهم مشاركات الاطفال الفردية ما يلي :

1. الاشتراك في طقوس تقديم القرابين ومساعدة الكهنة :

كان الأطفال يشتركون بوصفهم مساعدين للكهنة في أداء بعض الطقوس الدينية، خاصة الكاهن فيلامين ديياليس شكل(3)، فكانوا يقفون جاهزين لتقديم أي مساعدة للكاهن، حيث كانوا يحملون إناء النبيذ (Guttus) أو صندوق البخور (Acerra) أو سلة الفواكه (Lanx) أو المغرفة (Pitcher) أو المنشفة وتُسمى (Mantele)، وقد تم تصويرهم في الكثير من المشاهد كأطفال Tibicines[15] شكل(4) وينطبق هذا أيضًا على الطفلات المساعدات شكل(5، 6) وصغيرات الفستال – كاهنات الإلهة فيستا– اللاتي تُساعدن في رش منطقة المعبد بالماء، وجلب أدوات الطقوس من الغرفة السرية بالمعبد إلى المذبح، وهو مايتشابه مع دور الفتيات في المنزل حيث كن يجلبن تماثيل Lares[16] وPenates[17] من صندوق لاراريوم المنزل [18].

منظر رقم(3، 4): تمثال طفل مساعد كاميليوس
Thompson،N.L.، (2007)، p.102

منظر رقم (4): تمثال من الطين المحروق, زوج من الموسيقيين، فتاة وصبي. وجدت في بابل, القرن الثاني قبل الميلاد, المتحف البريطاني.
www.britishmuseum.org

منظرين رقمي (5، 6): اللوحة الأولى على اليمين: صورة لطفلة صغيرة، أغلب الظن أنها جزء من مجموعة تصورية كبيرة لحفل ديني، تُصور فيه الفتاة بوصفها كاهنة صغيرة ترتدي عباءة بلا أكمام؛ ما يتيح لها حرية الحركة، وعقدت حول خصرها وشاحًا، وعلى رأسها إكليلًا من الزهور، وحملت بكلتا يديها منضدة طقسية قربانية (مذبح متحرك).

اللوحة الثانية: صورة لفتاة صغيرة من معبد إيزيس ببومبي، ترتدي عباءة طويلة ورأسها متوج بإكليل الزهور، تحمل في يدها اليمنى وعاء إيزيس الذهبي، وربما تحمل بيدها اليسرى أعواد بخور [19]

2. المآدب العامة:

أحيانًا في بعض الأضاحي بعد إلقاء الذبيحة القربانية في الموقد للآلهة، وقبل بدأ الوليمة، ينتظر الجمع طفلًا (صبيًا)؛ ليعلن ما إذا كانت الآلهة قبلت القرابين المقدمة واستجابات للمطالب أم لا [20].

<u>شروط اختيار الأطفال المساعدين</u>:

كانت هناك شروط يجب أن تتوفر في الأطفال المساعدين في الطقوس والاحتفالات الدينية، سواء كاميلوس أو كاميلا أو كاهنة فيستا الصغيرة وهي:

1. سلامة الجسم بدنيًا وعقليًا.
2. أن يكون الوالدان من ذوي أصول رومانية، وأحرارًا، وعلى قيد الحياة.

وقد كانت الأولوية لأبناء الكهنة [21]، وإن كان الكهنة ليس لديهم أطفال، فيتم الاختيار من بين العائلات الأخرى من الدائرة نفسها، أفضل فتى وفتاة للمساعدة في الطقوس، وذلك حتى سن الرجولة للصبي، وحتى سن الزواج للفتاة. وهذا يتوافق مع ارتباط كهنة الفلامين بزوجاتهم الكاهنات (فلامينيكا) في الكهنوت، فإذا ماتت زوجاتهم أو طلقوهن، يتم إقالة الفلامين من الكهنوت [22].

وكان سبب حرص الرومان على وجود الأطفال في الطقوس الدينية هو أنه بجانب تعليم الأطفال وربطهم بالمجتمع والدين الروماني، اعتقادهم –أيضًا– أن من يقوم بأداء هذه الواجبات يجب أن يكون عفيفًا طاهرًا ونقيًا [23]. وأعتقد أيضًا أن الرومان كانوا يؤمنون بأن وجود الأطفال يُساعد في قبول الإله للقربان

واستجابة الأدعية والمطالب، وإلا ما كانوا ليستعينوا بالأطفال في أوقات الأزمات والحروب والكوارث، وحرصهم على وجود طفل واحد على الأقل داخل الطقس الديني سواء كان مساعدًا للكاهن أو عازفًا أو حتى مراقبًا.

الخاتمة

اتضح من خلال الدراسة أن:

أولًا: المناسبات التي شارك فيها الأطفال بشكل أساسي مناسبتان هما: (Lusus Troiae) و (Textura Rica)، وكان الهدف من هذين الاحتفالين هو تعريف الفتيان والفتيات بالمفاهيم الأساسية لحياتهم المستقبلية. فالاحتفال الأول يتعرف الأولاد من خلاله على دورهم العسكري تجاه الدولة، والاحتفال الثاني تتعلم فيه الفتيات أهمية هذا النشاط المرتبط بوضعهن كرئيسات مستقبليات.

ثانيًا: كان اشتراك الأطفال في الاحتفالات والمناسبات الدينية في إيطاليا يتم في شكلين: الشكل الأول: الشكل الجماعي وكان عبارة عن اشتراك مجموعة من الأطفال في شكل جوقة يقومون بالغناء في بعض المناسبات كمناسبات الاحتفالات بالنصر أو ولائم إحياء مآثر الأسلاف أو في الألعاب الأولمبية، أيضًا كان يتم الاستعانه بهم في أوقات الأزمات كالحروب والجفاف والأمراض. وشاركوا أيضًا في مواكب الاحتفالية الدينية الاجتماعية كالزواج.

الشكل الثاني: الشكل الفردي وكان يتلخص في دورين هما مساعدة الكاهن في حمل الأدوات المقدسة أثناء الطقوس الدينية، والعزف بالفلوت أثناء طقوس التضحية.

ثالثًا: كان يوجد شروط لاختيار الأطفال المساعدين في الطقوس الدينية وهي: سلامة الجسد بدنيًا وعقليًا، أن يكون الأبوان على قد الحياة وأحرار ومن أصل روماني.

حواشي البحث:

([1]) عيد الميترونياليا: وهو عيد الإلهة جونو, يُقام في الأول من شهر مارس, وهو وقت تُكرم فيه جونو لوسينا بصفتها حامية الأمهات، خاصة فترة الحمل والولادة, وكانت تُقام طقوس الماترونياليا في معبد جونو لوسينا.

([2]) (Flamen Dialis)؛ وهم كهنة الإله جوبيتر (كبير الآلهة), وفلامين مارتياليس (Flamen Martialis) وهم كهنة الإله مارس, واخيراً فلامين كويرينياليس (Flamen Quirinalis) وهم كهنة الإله كويرينوس, وكان باقي الكهنة يتم تخصيصهم لعدد آخر من الآلهة الصغرى.

Attala,S(2017), Flamines and Flaminica in Roman Hispania, Jornal of Art and Human Scinces, Minia Universty, Vol(54). No(1), P111.

([3]) . Prescendi, F. (2010), Children and the Transmission of Religious Knowledge, Article from Children, Memory, and Family Identity in Roman Culture book, Oxford University, Oxford, pp.76-81.

([4]) . Prescendi, F. (2010), pp. 76-81.

([5]).جابر، السيد, (2024), ملامح من الحضارة الرومانية القديمة, المكتب الجامعي الحديث, الإسكندرية, ص ص 95- 117.

([6]).هوراس (65 ق.م 8 ق.م)؛ شاعراً غنائياً وناقداً أدبياً لاتينياً من روما القديمة في زمن أغسطس قيصر، قيل بأن له تأثيرًا على الشعر الإنجليزي. عُرف الشاعر بالقصائد الغنائية والمقطوعات الهجائية.

Michie,j. (1966), The Odes of Horace, Rupert Hart-Davis, Australia, p.14.

([7]) . Prescendi,F.(2010), pp.76-81.

([8]) Kubiaczyk, M.A. (2016), The ritual of sacrifice and entertainment representations the roman of the ludi saeculares in coinage, European Review of Agricultural Economics, oxford p.245.

([9]) Mackey, J. L. (2017), Children and Everyday Life in the Roman and Late Antique World, Routledge publisher, London, pp.189, 190.

([10]) لوسيوس ليفيوس أندرونيكوس (280- 200 ق.م)؛ كان كاتبًا مسرحيًا يونانيًا رومانيًا, وشاعرًا ملحميًا للفترة اللاتينية القديمة. قام بترجمة الأعمال اليونانية إلى اللاتينية، بما في ذلك أوديسة هوميروس.

Livingston,I. J. (2004), A linguistic commentary on Livius Andronicus, Routledge Taylor & Francos Group, New York, p12.

([11]) جونو:معبودة رومانية زوجة جوبيتر كبير المعبودات الرومانية . تعادل هيرا لدي اليونانيين.

([12]) ديانا:معبودة رومانية تعادل أرتيمس في الديانة اليونانية, وهي ربة الصيد والغابات وحامية النساء.

([13]) جابر، السيد: (2024), ملامح من الحضارة الرومانية القديمة, المكتب الجامعي الحديث, الإسكندرية, ص ص 95- 117.

([14]). Thompson,N.L. (2007), Roman Art, Metropolitan Museum of Art, New York, pp.102-104.

([15]) . Tibicines :هم الأطفال الذين كانوا يعزفون على الفلوت أوالناي أوالقيثارة أثناء أداء طقوس التضحية أو في مواكب الاحتفالات العامة أو مواكب النصر

([16]) . Lares:معبودات مسئولة عن حماية المنزل الروماني

([17]) . Penates:معبودات مسئولة عن مخزن المنزل

([18]). Prescendi, F. (2010), pp.82-85.

([19]) . عكاشة، ثروت: (1993)، الفن الروماني (سلسلة العين تسمع والأذن ترى) مجلد 2 الجزء العاشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ص500, 502.

([20]). Prescendi, F. (2010), pp 82-85.

([21]). Daleas, B.C. (1998), Children in the Roman World, Indiana University, Indiana , p136.

([22]) Prescendi, F. (2010), pp.87,88.

([23]) Prescendi, F. (2010), pp.82-88.